السر الباهر
بما انفرد به الجامع عن الجواهر

للعلامة سيدي أحمد سكيرج رضي ا   عنه

تحقيق ذ محمد الراضي كنون
الإدريسي الحسني

السر الباهر، بما انفرد به الجامع عن الجواهر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم، و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم تسليما.

الحمدلله الذي أفاض على أرض قلوب أوليائه نيل العرفان، فنبت فيها ربيع المعرفة المتنوعة أزهاره العجيبة على الألوان، ثم هبت عليها رياح الفتح من حضرة القدس، فتمايلت طربا به في رياض الأنس، فانحاش إلى استنشاق نفحات عرفهم المستطاب، كل ذي نفس ملحوظة بالعناية في سلوك سبل الصواب، فما خاب مسعى من أمّ جنابهم الرفيع العالي، في نيل مقصوده الرفيع الغالي، حين شملته العطفة المحمدية، بالسعادة الأبدية، فضلا من الله عليه ومنة عظيمة، أسداها إليه بواسطة هذا النبي الكريم صاحب الخلق العظيم.

ما أرسل الرحمن أو يرسل	من رحمة تصعدا و تنزل
في ملكوت الله أو ملكه	من كل ما يختص أو يشمل
إلا و طه المصطفى عبده	نبيه المختار و المرسل
واسطة فيها واصل لها	يعلم هذا كل من يعقل[2]

صلى الله عليه و على آله و أصحابه، و كل من تعلق بأذياله في سلوك محجته السمحاء من أهل حزبه، و رضي الله عن سيدنا و سندنا العارف الرباني، القطب الصمداني، الختم الأكبر، العلم الأشهر، شيخنا الكوكب النوراني، سيدنا و مولانا أحمد التجاني، و على كل ذي قلب سليم، سالك في سبل الرشد على الصراط المستقيم، **و بعد** فيقول العبد الفقير إلى مولاه، الراجي مغفرته و رحماه، أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، غفر الله له و لوالديه، و أحسن لهما و إليه، مع سائر المسلمين آمين: إنه لما كانت الطريقة التجانية ذات المواهب العرفانية طريقةً أسست على تقوى من الله ينال العبد بانخراطه في سلكها رضى مولاه، لأنها طريقة محمدية محوطة بالسعادة الأبدية، و كم لها من مزايا جسيمة و مناقب فخيمة.

---

[1]- حاول المؤلف من خلال هذا الكتاب أن يَلُمَّ جميع ما جاء في كتاب الجامع للعلامة ابن المشري، من تقاييد ومقالات وأجوبة لم تذكر في كتاب جواهر المعاني للعارف بربه سيدي الحاج علي حرازم، اعتبارا لكون هذا الكتاب الأخير كان قد أُلّفَ إبان حلول الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه بمدينة فاس سنة 1213هـ- 1798م، وتوفي صاحبه بعد ذلك بمدة لا تزيد على خمس سنوات، بينما تأخرت حياة مؤلف الكتاب الأول (الجامع) إلى حدود سنة 1224 هـ- 1809م، الشيء الذي سمح له بإضافة مجموعة من الأجوبة والتقاييد غير الموجودة في كتاب الجواهر.

وتفيد بعض الوثائق أن العلامة سكيرج كان قد شرع في إنجاز هذا الكتاب عام 1328 هـ- 1910م لكنه لم يتمه، وانشغل عنه بإتمام مؤلفاته الأخرى.

[2]- الأبيات الأربعة الأولى من قصيدة للقطب الشهير سيدي محمد البكري.

و كيف يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل[1]

و قد ألف في هذه الطريقة المحمدية جماعة من أصحاب سيدنا رضي الله عنه، و جمعوا بعض ما تلقوه منه، و أفضل ما ألف فيها كتاب جواهر المعاني، للخليفة المكرم سيدنا الحاج علي حرازم برادة رضي الله عنه، و كتاب الجامع لما افترق من درر العلوم، الفائضة من بحار القطب المكتوم، للفقيه العلامة الجليل، الشريف الأصيل، سيدي محمد بن المشري رضي الله عنه، إلا أن كتاب الجامع انفرد بزيادات عن كتاب الجواهر، مع اشتماله على ما في كتاب الجواهر، و قد سألني من تجب مساعفته، و تتعذر مخالفته، بأن أجرد تلك الزيادات في مجموع لطيف، و أسلوب شريف، إتحافا له و للسادة الإخوان، و لمن سلك نهجهم في طلب العرفان، فأجبته كما إليه دعاني، راجيا من المولى بلوغ الأماني، و سمَّيته بالسر الباهر، فيما انفرد به الجامع عن الجواهر، و رتبته على ترتيب تراجم جواهر المعاني، ليكون سهل التناول على من أراد الاطلاع على ما في قصور فنونه المحكمة المباني، و ربما زدت في بعض المسائل ما يستحسنه كل عاقل، مُنَبِّها على ذلك عند سلوك تلك المسائل، ومن الله أستمد الإعانة و التوفيق، و الهداية لأقوم طريق.

[1]- البيت للشاعر أبي الطيب المتنبي، قاله في آخر أربعة أبيات له ونصها:

أتيت بمنطق العرب الأصيل وكان بقدر ما عاينت قبلي
فعارضه كلام كان منه بمنزلة النساء من البعول
وهذا الدر مأمون التشظي وأنت السيف مأمون الفلول
وليس يصح في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

الباب الأول في التعريف
بنسبه و نشأته و بدايته و مجاهدته و أخذ طريقته
وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول في التعريف بنسبه

اعلم أن شيخنا قطب الأقطاب علم الطريقة، و بحر الشريعة و الحقيقة، أبا العباس التجاني رضي الله عنه، هو أحمد بن مولانا محمد المكنى بابن عمر بن المختار بن أحمد بن محمد بن سالم بن أبي العيد بن سالم بن أحمد الملقب بالعلواني بن أحمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالجبار بن ادريس بن ادريس بن إسحاق بن زين العابدين بن أحمد بن محمد بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه[1].

فهذا نسبه الموجود في العقود و لكن لم يعول الشيخ رضي الله عنه عليه، و إن كان محققا عند آبائه، حتى سأل النبي صلى الله عليه و سلم عن نسبه و حققه له، سمعته رضي الله عنه يقول: سألت سيد الوجود صلى الله عليه و سلم على نسبي هل أنا شريف أم لا؟ فأجابه صلى الله عليه و سلم أنت ولدي و كررها ثلاثا، فمن حين سمع تحقيق نسبه من سيد الوجود صلى الله عليه و سلم صرح بالشرف و جزم به، و ذلك لتحقيق نسبه في نفس الأمر، لأن سيد الوجود صلى الله عليه و سلم أخبره يقظة لا مناما.

---

[1]- عقد العلامة سكيرج رضي الله عنه هذا النسب الطاهر في أبيات من قصيدته الدالية الجميلية التي عارض بها دالية البوصيري رحمه الله، وقال في مطلعها:

سلب الغرام من الفؤاد تجلـــــــدي   فالعين مني كحلت بتسهـــــد

إلى أن قال في موضوع النسب الشريف:

إن التجاني نجل من فاهت به الـــــــــــعلياء ذي الفتح العظيم محمـــــــــد
نجل الفتى المختار من خضعت لـه   أسد الوغى نجل السميدع أحمـــــــد
نجل ابن سالم الرضى ذي الفتح مَنْ   من وجهه الداج استنار محمـــــــد
نجل ابن سالم الرضى المولى أبي الـــــــعيد ابن علوان كناية أحمـــــــد
نجل المبجل أحمد بن علي الـــذي   هو نجل عبد الله سعـــد الأسعـــــد
نجل الرضى العباس وهو لعابد الـــــــجبار نجل يالــــــه من مولـــــد
نجل ابن إدريس الهمام الشيـــخ إد   ريس الرضى من فضله لم يجحـــــد
نجل ابن زين العابدين المرتضـــى   إسحاق نجل للممجـــد أحمـــــد
نجل الذي النفس الزكية نفسه الـــــــــمولى الرضى الليث الهصور محمد
نجل الهمام الكامل الأوصاف عبـــــــد الله من هو طيِّـــــبٌ للمحتـــد
نجل الرضى الحسن المثنى نجل سبـــــــط المصطفى الحسن الإمـــام المفرد
نسب من الأدناس طهر واكتســـى   نورًا أعز من النظـــــار العسجـــد

الباب الخامس في ذكر أجوبته عن الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية، و رسائله و كلامه و إشاراته، و ما سمعه من فيوض علومه و أسراره و تقريراته، و فيه فصول

الفصل الأول في ذكر أجوبته عن الآيات القرآنية على طريق أهل الإشارة الربانية
اعلم أنه جعل في الجامع ترتيب هذه الأجوبة المنيفة، عن الآيات الشريفة، التي سئل عنها سيدنا رضي الله عنه على توالي السور الكريمة، اقتداء بالكتاب العزيز، ليسهل على الناظر مطالعتها و يبعد تشتيت الفكر عند مناولتها، و هو ترتيب حسن، إلا أنه في بعض المواضع قدَّم و أخر، على حسب ما سمح له به الوقت فيما سطَّر، و قد جمعنا جميع ما تفرَّق في أبوابه منها في هذا الفصل الجامع للب ما في هذا المجموع على ترتيب أجوبة كتاب جواهر المعاني، قصد التنبيه على الزيادات الواقعة في الجامع مقدما على الكل تبعا له.

الكلام على البسملة و الفاتحة لما فيهما من جزيل الثواب، إلا أن أكثره تقدم في باب الأوراد، و بقيت فائدتان عظيمتان لمن وفقه الله لهما، اقتضى المقام أن يكون هذا محلهما، **الفائدة الأولى** ذكر قدوتنا رضي الله عنه أن من قرأ البسملة متصلة بالفاتحة بنفس واحد كانت له بفدية، هكذا ورد بسند متصل عزاه للشيخ الأكبر رضي الله عنه، أقول و قد ذكرت هذا السند في كتابنا نور السراج، **الثانية** قال سيدنا رضي الله عنه في بعض نصائحه عند تعرضه للكلام على الشكر ما نصه: ما وأعلى ذلك في شكر اللسان تلاوة الفاتحة في مقابلة ما أنعم الله به على العبد شكرا، و لينو عند تلاوتها أنه يستغرق شكر جميع ما أحاط به علم الله من نعمه عليه الظاهرة و الباطنة و الحسية و المعنوية، و المعلومة عند العبد و المجهولة لديه، و العاجلة و الآجلة، و المتقدمة و المتأخرة، و الدائمة و المنقطعة، و يتلو بهذه النية ما قدر عليه من الفاتحة من مرة إلى مائة، فمن فعل ذلك كتبه الله شاكرا، و كان ثوابه المزيد من نعمه على قدر مرتبته بحسب وعده الصادق **وَ** هذه الفائدة و إن ذكرت في الجواهر فلا بأس بذكرها على الخصوص هنا تبعا للأصل.

وَ من تمام الكلام على الفاتحة أيضا ما قاله سيدنا رضي الله عنه: اعلم أن فاتحة الكتاب العزيز مشتملة على جميع ما برز من عين الذات العلية، المنزهة المطلقة من الكتب الإلهية والأسرار العالية، و العلوم الربانية من علوم الأولين و الآخرين، و فيها أسرار الكائنات بأسرها، ثم اعلم أن الله جلت قدرته لما أراد إيجاد الحقيقة المحمدية سبق في العلم الإلهي أن الحقيقة الأحمدية هي عين الرحمة الإلهية، و مدد سريان القدرة الربانية، و المشيئة الإلهية جارية على قوانين الرحمة الكاملة من كل مخلوق قل أو جل، ثم تجلى سبحانه و تعالى على الحقيقة الأحمدية بالتجلي الجامع، و تجلى عليها بحقائق القرآن العظيم و علومه و أسراره وفيوضاته و أنواره.

و قد اشتملت هذه الحقائق على ما أراد إبرازه و إبقاءه لكافة الوجود، من إيجاد و إمداد وإنعام من نبوة و رسالة و قطبانية إلى آخر ما أنعم به على سائر الوجود، تجلى به جل و علا على الحقيقة المحمدية دفعة واحدة في أم الكتاب، و نعني بها حقائق القرآن العظيم و أعني بالحقائق تجليات الذات التي لم تكن لغيره صلى الله عليه و سلم أزلا و أبدا، لم يشذ منها شيء

في ذلك المقام من كل ما أراد إبرازه للوجود و سائر العوالم التي لم يعلم بها غيره صلى الله عليه و سلم، و قد قلنا دفعة واحدة، فعلم صلى الله عليه و سلم في ذلك التجلي أسرار الكائنات بأسرها، و علوم الذات بكمالها، فكان صلى الله عليه و سلم بهذه المثابة هو أصل الوجود، المفيض على الكل، و كل ذلك من معاني القرآن العزيز الذي أفاضه الحق عليه دفعة واحدة، فهو أم الكتاب، و لذلك سميت الفاتحة أم الكتاب، لأنها فتحت بها أبواب الرحمة الإلهية، وبدأها بالحمد عليه و الثناء، فهو صلى الله عليه و سلم في هذا المقام، **وَ** هذه المرتبة عين وهاء، فلا يعلم هذه المرتبة إلا من ذاقها، و في هذا المحل علوم ذاتية بعيدة عن الإدراك، وصلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم.

و اعلم أنه تكلم في الجواهر في مقدمة هذا الباب على معنى قول أهل السنة رضي الله عنهم أن القرآن دال على كلام الله تعالى، ثم تكلم على التفضيل بين الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم و بين تلاوة القرآن، و بَسَطَ في ذلك ما هو مرسوم في بابه، و لمناسبة المقام أردنا أن نجمع مع ما ذكره هنا رسالة قواعد العقل، المسماة بإزالة اللبس و الإيهام، فيما خفى على علماء الكلام، فإنها اشتملت على قواعد العقل عند المنحصرين في دائرته، و عند غيرهم من الكمل المحققين، و التنبيه على عبارات عند المتكلمين يجب تركها لركاكتها، وبيان عدم وصول العقل من نفسه إلى الإلاهيات ما لم يستند إلى النص.

قال سيدنا رضي الله عنه: **قواعد** العقل هي أمور حسية أو فكرية انحصر فيها وجود الأشياء من حيث ما تبث وجوده، أو وجب عدمه مطلقا من غير تقييد و لا اختصاص، من كل ما عدا ذات الله و صفاته و أسمائه، فكل موجود منها لا بد له من تناه، و غاية و انحصار في القدر والكم، و كيفية يباين بها سواه، و لون و مادة، و هذا يعم ما صح فناؤه بعد الوجود و ما ثبت بقاؤه أبدا، فكل ما خرج منها عن هذا المقدار فلا يقبل الوجود، و لا يصح ثبوته، و من قال فيه بغير هذا كذب و وجب تركه، هذه إحاطة العقل عند المنحصرين في سجن العقل، **وَ** عند الصديقين أن هذا الحصر في أمر الله باطل محال، بل عند الله تعالى في أمره و علمه ما لا يتناوله حكم العقل، و لا يطيق حصره فيما حصر فيه الأشياء، و أن الذي أوقع أصحاب العقل في هذا هو عدم إدراكهم لما وراء طور العقل، فإنه سبحانه و تعالى أجل و أعز ممن ينحصر علمه أو أمره في إحاطة العقل.

قال سبحانه و تعالى: و لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء[1]، و قال جل جلاله: و يخلق ما لا تعلمون[2]، **وَ** في مظهر المرآة العقلية فما يتجلى فيها للناظر أمر يخرج الناظر عن قواعد العقل، فإن الظاهر في المرآة هو أمر معلوم مجهول، موجود معدوم، مدرك غير مدرك، و هذه الأحوال فيه تخرج أمور العقل عن الإنحصار في طور العقل و الحس، فإن حقيقة أمور العقل لا يتأتى فيها انحصار شيء واحد يكون موجودا معدوما في الآن الواحد، ويكون معروفا مجهولا في لحظة واحدة، و يكون مدركا و غير مدرك في آن واحد.

[1]- سورة البقرة، الآية 255
[2]- سورة النحل، الآية 8

وَ بهذا تعرف أن انحصار الأشياء في طور العقل و الحس باطل، و كذا في الأمر الحقيقي أن هناك أمرًا واحدًا يتصف بصفتين متناقضتين في الآن الواحد، لا يتأتى اجتماعهما في شيء واحد، و هو الآن الدائم عند العارفين، فإن حقيقته هو استمرار وجود الحضرة الإلهية، فلا بداية و لا نهاية، ثم هذا الوجود الواحد يتصف بكونه قديما أزليا بلا بداية و لا نهاية، ويتصف بكونه حادثا له بداية و نهاية، و هذا أكبر خروج عن دائرة العقل، فإن هذا الاستمرار إن أضيف إلى الحق سبحانه و تعالى كان كمًّا كَمَا وُصِفَ أولا، و إن أضيف إلى الحوادث كَانَ كَمَا وُصِفَ ثانيا، و هو شيء واحد لا يقبل الإثنينية، و لا يقبل المغايرة. و هذا أكبر دليل على ما قلنا من عدم انحصار الأشياء في العقل.

قال بعض العارفين: لما ظهرت الحقائق انعدمت فيها البدايات و النهايات، و عجب العقل بنفسه، و قال: أنا الفلك المكوكب ظننا منه أن ما ظهر من الحقائق هي منه و فيه و عنه و له وبه، **قالت الرياضة** ألزمني و تعرف قدرك وهذه الرياضة هي الإنقطاع باطنا عن كل ما سوى الله، فإنه متى داوم هذا كانت كل لحظة منه بالنسبة لما بعدها كنقطة في بحر في إظهار الحقائق و العجائب و التجليات و العلوم و المعارف إلى الأبد، فيعرف حينئذ أنه لا شيء له مما رأى أنه مفاض عليه فقط، فإن الله عز و جل حكم على نفسه أن كل من انقطع إليه بالإعراض عن كل ما سواه يفيض عليه سبحانه و تعالى في كل لحظة من العلوم و المعارف و تجلي الحقائق و الأسرار و التجليات و المنح و العطايا و التحف ما يكون منه كل لحظة بالنسبة لما بعدها، أعني إلى اللحظة التي بعدها كنقطة في بحر، و إلى هذا أشار الجنيد رضي الله عنه بقوله: من أقبل على الله عز و جل ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته في تلك اللحظة أكثر مما أدركه في ألف سنة[1].

و إلى هذا أيضا يشير قرين مالك رضي الله عنه إذ كان بعد إدراكه مرتبة للعلم انقطع إلى الله انقطاعا كليا لا يلتفت إلى غير الله أبدا، و مالك أقبل على استنباط أحكام الفقه طول عمره، فكتب إليه: لو علمت ما فاتك في الإنقطاع إلى الله لبكيت عليه طول عمرك، يشير إلى ما ذكرنا، فكتب إليه مالك: ليس الذي أنت عليه بأفضل مما أنا عليه، كلانا على سبيل خير، وإلى قول المنقطع كانت الصحابة، لا يلتفتون إلى الفتوى و استنباط الأحكام، لاشتغالهم بما ذكرنا، و يردونها إلى التابعين في بعض الأحيان.

ثم نرجع إلى ما نحن بصدده و هو أن دليل العقل على الإلاهيات من نفسه باطل، إذا لم يستند للنقل الصحيح، قلت لسيدنا رضي الله عنه ما وجه بطلانه؟ قال إذا أثبت من الأوصاف ما هو ثابت عندنا بالنقل فلا فائدة إذن عنده، لأنه من تحصيل الحاصل، و إذا أثبت ما لم يرد به النص، فلا يلتفت إليه، لأن الإجماع على عدم إطلاق اسم أو صفة لم يسم الحق بها نفسه

---

[1]- أنظر الفتوحات المكية، للشيخ ابن عربي الحاتمي، الباب 73 في معرفة عدد ما يحصل من الأسرار للمشاهد (السؤال 124) 3: 206 والباب 200 في حاصل الوصل 4: 196. وقد افتتح هذا الباب بقوله:

لَوْ فاتنا ما فات لم تك صورةٌ ... والوصلُ فينا درك ذاك الفائــــت
ما فات إلا كوننا لم نبغــــه ... فإذا ابتغينا كان ثبت الثـابــــت
وبه تفاضلت الرجال فمنهــم ... حيٌّ وذاك الحيُّ عين المَائِــــتِ
والميت مِنَّا ليس يعرف مَوْتَهُ ... والناطقُ المعصوم عين الصامتِ

تصريحا أو ضمنا، فإذا فهمت هذا تبين لك بطلان وجه الدليل العقلي على الألوهية إذا استبد بنظره، و ظهر لك أن الحجة القطعية في هذا الفن هو الخبر المتواتر لا العقل وحده، لأن النقل المتواتر قطعي بإجماع، و هو حجة الله على خلقه، قال عز من قائل: و ما كنا نعذبين حتى نبعث رسولا[1]، و قال عز وجل: رسلا مبشرين و منذرين ليلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل[2]، إلى غير هذا من الأخبار.

و قد سأل صاحب الإبريز شيخه رضي الله عنهما جميعا ما الفائدة في تقديم السمع على البصر و هو أشرف منه؟ قال له: نعم، و لكن في السمع فائدة واحدة لو تعطلت لبطلت حجة الله تعالى على خلقه بالكلية، و هي أخباره على ألسنة رسله عليهم الصلاة و السلام، و في هذا أيضا أقوى دليل على أن حجة الله على خلقه هي الأخبار السمعية لا العقلية، **قلت** لسيدنا رضي الله عنه: ما قلتم هو الصواب، ولكن للمخالف أن يقول أن العقل هو مناط التكليف، وإذا بطل نظر العقل بالكلية بطل التكليف، لأن الإجماع على أن غير العاقل لا تكليف عليه، قال رضي الله عنه: لا يلزم هذا، و لا يرد علينا لأنا نحن نتكلم على بطلان حكمه إذا ادعى الإطلاع على حضرة الربوبية باستبداد نظره وحده من غير اعتماد على شاهد النقل الصحيح، هذا هو الذي أبطلناه، لأنه محجر على كل عقل أن يصله بفكره أو حدسه.

و إذا فهمت هذا علمت أن الوصول لحضرة الربوبية و الإطلاع عليها لا يكون إلا من طريق النبوة، أو بفتح من الله على بعض خواصه، و كلاهما بعيد عن نظر العقل، و دليل صحة هذا الكلام أن الدليل النقلي معصوم من الزيغ و الضلال، قال سبحانه و تعالى: لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه[3]، الآية، و أما الدليل العقلي فليس بمعصوم من الخطإ في كثير من قضاياه، بل كل من استند إليه و أعرض عن طريق الخبر جملة لا تجده إلا ضالا، و من تأمل مذاهب أهل الضلال من هذه الأمة وجد سبب ضلالتهم تحكيمهم للعقل في كثير من الأمور، كقياسهم الغائب على الشاهد، و قالوا: ما حسنه العقل فهو الحسن، و ما قبحه كذلك، و حكموا باستحالة العفو على الكافر، و هو خطأ صريح، حتى من جهة العقل.

و هذا الفساد كله جاء من طريق العقل، حتى نسبوا ما هو مقرر عندهم في قواعدهم و هو أن شرط القياس المساواة، فسوَّوا بين الفاعل المختار الذي عنده الأشياء على حد السواء في الخلقة، و لا تفضيل بينهما إلا من عنده، و بين خلقه العاجز عن نفع نفسه فضلا عن غيرها، و ما جاء هذا الغلط إلا من عدم التفريق بين الحكمة و المشيئة، و الغفلة عنهما عند تقرير أحكامهم، و لو تفطنوا للفرق بينهما و تكلموا في كل مقام بما يناسبه لم يقعوا في هذا التخليط، و لكن القلوب بيد الله يصرفها كيف يشاء، نسأل الله أن يصرف قلوبنا فيما يحبه و يرضاه آمين.

قال سيدنا رضي الله عنه تفكرت قاعدة تهدم جميع قواعد العقل التي أسسوها من كونه يتوصل إلى الإلاهيات بأدلته من نفسه، و ذلك أن مدار العقل و إدراكه و غاية وصوله

[1]- سورة الإسراء، الآية 15
[2]- سورة النساء، الآية 165
[3]- سورة فصلت، الآية 42

المحسوسات، و لا يقدر أن يجاوزها إلى الغيب الإلهي، إلا أن يستند إلى غيره من خبر النبوءة، فإن فهم هذا تبين أن كلما نصب العقل من الأدلة على الإلاهيات من نفسه فهو فيها غير مصيب، و إنما الدليل عليها خبر النبوءة فقط كما قدمنا، فهو الأصل[1]، و دليل العقل تابع له فقط، و غاية ما يحصل للعقل من دليله من نفسه حكمه بالإستحالة و الإمكان على ما يصله من دائرة المحسوسات.

و أما الوجود الواجب فلا يقدر أن يحكم له بشيء من جهة نفسه، فإن قيل إذا لم يكن للعقل اطلاع على الغيوب و حكم عليها بنفي و إثبات من نفسه كما ذكرتم بطل حكمه كله، و لم يخاطبه الحق سبحانه و تعالى بمطالبة النظر و الاعتبار في بعض الأمور، قلنا خطاب الحق جل و عز له تنزل له بحسب دائرة وسعه، و أودع فيه قوة ليفهم الخطاب و يتفطن لما يراد به، و منه ليكلفه فيعمل بمقتضى ما سمع، لا ليستند لنفسه في الأحكام، فلما أحس العقل بما أودع الله فيه من القوة المذكورة، و أسمعه الله خبره الصادق على لسان النبوءة أخذ يساميه، و ينسب لنفسه الأحكام الغيبية التي كانت محجوبة عليه قبل سماع الخبر، فسمّى حكمه قطعيا، و الخبر إقناعا.

ثم قال سيدنا رضي الله عنه: و الدليل على أن العقل لا وصول له إلى الألوهية من نفسه أيضا، لأن إدراكه من بدايته إلى نهايته المحسوسات، و هي في غاية المخالفة و المناقضة للألوهية بكل وجه و اعتبار، فلا نسبة بين القديم و الحادث، و العقل من الثاني، فلا مطمع له في الوصول من نفسه إلى القديم، لما ذكرنا من عدم المناسبة بينهما، و ذلك ظاهر.

فإن قيل: إذا صح ما ذكرتم من العقل، و أنه لا يتجاوز دائرة حسية و ما ماثلها، وبطل وصوله من نفسه للغيب الإلهي كما ذكرتم بطلت النبوءة من أصلها و بطلت الأخبار الإلهية جملة، لأن صدورها لا يكون إلا من نبيء، و هو بشر، و قلتم أن الإنسان لا وصول له إلى الإلاهيات من نفسه، بل لا يتوصل لها إلا من خارج، و هو الخبر، و هذا الخارج لا يصح إلا بخارج كما ذكرتم، و كذلك هذا الثاني لا يصح إلا بخارج ثالث، و هكذا فيؤدي إلى التسلسل، و هو محال، قلنا لا يلزم ما ذكرتم من إبطال النبوءة و إبطال الأخبار الإلاهية، و إن بطل وصول العقل للغيب الإلاهي من جهة نفسه، وذلك لأن النبي و إن كان إنسانا من جملة البشر فهو ليس كالبشر في كل وجه، بل هو كياقوتة بين الحجر، لأن الحق سبحانه و تعالى باختياره و محض فضله أودع في باطنه نورانية صافية في غاية الصفاء، معارة له من حضرة الحق، يشاهد بها المغيبات حسا عينيا، فهي له بمثابة البصر لنا، فكما نشاهد المحسوسات ببصرنا، فكذلك الأنبياء يشاهدون الغيوب، فلا شك و لا ريب، و لا غلط فيما يشاهدونه من الغيوب،

[1]ـ من هذا القبيل قول الشيخ ابن عربي الحاتمي في أبيات له:

من طلب الدين بالكـــــلام زَنْدَقَهُ الشرعُ والســـلامُ
فاعْدلْ إلى الشـرع لا تزدْهُ فإنَّهُ كُلُّـــهُ حـــــــــرامُ
فإن علم الكــلام جهــــــلٌ يرمي بِهِ الحالُ والمقَامُ
ما الدينُ إلا مَا قَالَ ربِّـــــي أَوْ قَالَهُ السَّيِّدُ الإمَـــامُ
رَسُولُهُ المصطفى المُرَجَّى عليهِ مِنْ ربِّهِ السَّـــلامُ

والدليل على صحة هذا إخبارهم بالمغيبات، فإنه لا يقع فيها اختلاف، و لو في ذرة واحدة، بل لا تقع إلا على طبق ما أخبروا به في نفس الأمر.

فإذا فهمت هذا تبين لك أن طريق الوصول للإلاهيات هو خبر النبوءة فقط، و لا سبيل للعقل إليها من جهة نفسه كما قدمنا، قال سيدنا رضي الله عنه و أما الدليل على صحة الخبر الإلاهي فهو المعجزة، و الدليل على صحة المعجزة كونها خارجة عن طوق البشر، و لم تمكن معارضتها بوجه من الوجوه، و معلنة بصدق محلها، و من أتى بها من نفسها لا من خارج، و ادعى كون معرفتها دورية كما قاله بعض المتكلمين باطل، فإن قيل يلزم مما ذكرتم من إبطال حكم العقل و وصوله من نفسه إلى الغيب الإلاهي تغليط من تكلم في علم الكلام، لأن مدار كلامهم في فنهم على حكم العقل، و فيهم أئمة الهدى من أهل السنة كالإمام الأشعري، و القاضي و الأستاذ و القطب سيدي محمد السنوسي و غيرهم رضي الله عنهم أجمعين، قلنا: لا يلزم ما قلتم في حقهم، لأن من تأمل كلامهم رضوان الله عليهم وجدهم كلهم واقفين مع النقل الصحيح، و لم يقل أحد منهم ببطلان الدليل العقلي، بل لا يقولون بصحة الدليل العقلي في غير المحسوسات، إلا إذا وجدوا له ما يعضده من النص، بل أكثر أدلة العقل عندهم موضوعة للفهم في خبر الله و خبر رسوله، و لذلك اشتغلوا بتحريرها ليعلم منها أدلة النقل، و لأنهم يقولون أن من يفهم أدلة النقل على الصواب لا يحتاج لتركيب الدليل العقلي وإنما يحتاج له من لم يفهم معاني الأخبار.

و هذا دليل على أن مدار مذهب أهل السنة رضي الله عنهم هو الوقوف مع النقول الصحيحة، و أما ما مالوا إليه في مبنى قواعدهم على الدليل العقلي في هذا الفن إنما قالوا به حين فاضت المبتدعة، فأرادوا الرد عليهم بما بنوا عليه أصلهم الفاسد قبحهم الله، و ظن أهل الحق رضوان الله عليهم أنهم يسدون ما خرقته الفرق الضالة بأقيسة العقل و حدسه، فاتسع الخرق عليهم، و كثرت الشُّبه، لأن تخمينة العقل لا تقف على رأي واحد، فما صححه هذا يظهر بطلانه لغيره و هكذا، فلهذا كثر الخلاف بينهم و اتسع ميدان الكلام للمعاند، و هذا و الله أعلم هو سبب ترجيحهم الدليل العقلي.

و لا يظن مؤمن بأئمة الحق و الدين أنهم يقولون إن الدليل النقلي المتواتر غير قطعي في هذا الفن و غيره، و لكن حملتهم حمية الدين أن يردوا على أهل الضلال بما هو الأقوى عندهم، فأداهم ذلك رضوان الله عليهم إلى أن رجحوا العقل، و حضوا على تعليم تركيب أدلته، فكثرت الشبه، و وجد المعاند فسحة للكلام، و رضي الله عن الإمام أحمد بن حنبل حين كان في زمان محنة أهل السنة، إذا كلمته المعتزلة بأدلة العقل يقول ما أدري، و لا يكلمهم إلا بما يقطع حجتهم و يبكتهم من كلام الله و قول رسوله صلى الله عليه و سلم، لأنه حد محدود، لا يقدر المعاند على هتكه، فليس له إلا الانقياد له، أَوْ يَبْقَى على عناده من غير تلبيس الحق بالباطل، بخلاف الدليل العقلي، فإنه دائما يجد التلبيس فيه.

فإن قلتم: يفهم من هذا أن أئمة الكلام لم يعلموا ما كانت عليه الأوائل، حيث كان يفحم الخصم و يقطع حجته جملة من غير تعب، و عدلوا عنه لما يجد الخصم فيه متسعا للكلام كما قدمنا، قلنا حاش لله أن ينسب فرسان العلم من أهل الحق لعدم العلم بما نفهموه، و نحن في غاية

القصور، و لكن عدلوا عما وقفت عنده الصدور الأولى و الله أعلم لأمرين، الأول هو ما قدمناه من ردهم على أهل الضلال بما يرونه أنه الأقوى عندهم، ظنا منهم إذا ارتكبوا هذا يردونهم عن ضلالتهم، فلم يقع إلا ما أراده الله، الثاني قال بعض أهل الحق: ليس للعالم أن يعلم كل مسألة، و لعل فحول الأئمة غفلوا عن هذه المسألة، و هي ما كانت عليه الأوائل من الوقوف مع النصوص الصريحة، و تركهم تخمينات العقل لئلا يكثر الضلال في الأمة و قد وقع، قال سبحانه: ليقضي الله أمرا كان مفعولا[1]، و لأن العالم غير معصوم من الزلل، قال مالك رضي الله عنه: كل كلام يؤخذ منه و يرد إلا كلام صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم، و يعلم الله المتأخر ما لم يعلمه المتقدم، قال صلى الله عليه و سلم: أمتي كالمطر[2] إلى آخر الحديث.

تنبيه قال شيخنا رضي الله عنه: أكثر كلام أهل علم الكلام على تقدير سؤال سائل، و هو أن يقول المعاند من أين لكم خبر الله فأرادوا ثبوته له من دليل خارج عنه، فأخذوا في تراكب العقل فأدَّاهم إلى كثرة الكلام، و وجد المعاند للقول مجالا، و لو أجابوه بما أجابه به الشرع صلى الله عليه و سلم، و هو إما أن تسلم أو تؤدي الجزية عن ذل أو السيف لأدمغوا الباطل بالحق، و وافقوا الصواب بديهة، قال سبحانه و تعالى: بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق[3]، و لا يؤخر لنظر العقل سواء عربي أو عجمي لا فرق، ثم بعد ذلك إذا انقاد للحق يعلمونه شيئا فشيئا على التدريج، لو فعلوا هذا لأراحوا نفوسهم من تعب قياس كثرة الحجج للمعاند، و وافقوا الحق بديهة من غير مشقة، و انسد ما خرقته المبتدعة، قال صاحب القصيدة رضي الله عنه:

لولا أئمتنا للرد قد سبقوا　　　لم نلتفتهم سوى بالبيض و الأسَلِ

و لكن لا يقع إلا ما أراده الله، فأراد سبحانه تفريق هذه الأمة شيعا، فأضلهم عن الحق، وغطى الجواب الذي فيه إرشادهم على من أراد رجوعهم للحق من أهل السنة كما ذكرناه سابقا، قال عز من قائل: و من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا[4]، نسأل الله التوفيق للحق في القول و العمل، آمين.

فصل في الكلام على التنبيه الذي قدمناه على عبارات عند المتكلمين التي قلنا يجب تركها، منها قولهم ما أول الواجبات على المكلف، و خلافهم فيها، مع أن أول الواجبات معلوم عند كل مسلم، و هو ما ذكره الشارع من الكلمة المشرفة لا غير، لقوله صلى الله عليه و سلم:

---

[1]- سورة الأنفال، الآية 42

[2]- إشارة لقوله صلى الله عليه وسلم: مثل أمتي كالمطر، يجعل الله في أوله خيرا وفي آخره خيرا، أنظر مجمع الزوائد للهيثمي (كتاب علامات النبوة) باب ما جاء في فضل الأمة 10: 56 رقم 16707، مسند الشهاب القضاعي 2: 276 رقم 1349، الدرر المنتثرة للحافظ السيوطي (حرف الميم) 1: 244 رقم 386 . كنز العمال للمتقي الهندي (المجلد الثاني عشر) 1: 2432 رقم 34569.

[3]- سورة الأنبياء، الآية 18

[4]- سورة المائدة، الآية 41

أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله[1] الحديث، و كذلك حديث جبريل المعلوم الذي قال فيه ما الإسلام؟ الحديث[2]، و قد سئل مالك رضي الله عنه عن التوحيد فقال: هو ما دخل به الرجل الإسلام، و قال الشافعي رضي الله عنه: من خاض في علم الكلام فكأنه دخل البحر في هيجانه، و قال أبو حنيفة رضي الله عنه: قاتل الله عمرو بن عبيد فإنه فتح للناس باب الخوض في الكلام فيما لا يعنيهم.

و قال بعض المحققين: ما كانت قط زندقة أو بدعة أو كفر أو جرءة على الله إلا من قبل الجدال و الخوض في علم الكلام، و قال: و عليكم بترك الجدال فإن الله تعالى يقول: ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا[3]، فإذا كان أئمة الحق رضي الله عنهم سدوا هذا الباب، و هم على ما عرف من حالهم من هداية الخلق و النصيحة لهم، مع غزارة العلم و الولاية، و هو الخوض في جانب الربوبية بالعقل، فكيف نفتحه مع قصور هممنا، و كثرة الفتن في زماننا، بل لا يسعنا إلا اتباعهم رضي الله عنهم.

---

[1]- إشارة لقوله صلى الله عليه و سلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله، أنظر صحيح البخاري (كتاب الإيمان) باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم رقم 25، (كتاب الصلاة) باب فضل استقبال القبلة رقم 390، (كتاب الزكاة) باب وجوب الزكاة وقول الله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة رقم 1381، (كتاب استتابة المرتدين) باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة رقم 6773. (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة) باب الإقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم

[2]- أنظر صحيح الإمام مسلم (كتاب الإيمان) باب بيان الإيمان والإسلام رقم 59

[3]- سورة غافر، الآية 4

و منها قولهم الدليل العقلي قطعي و النقلي إقناعي، قال سيدنا رضي الله عنه: و هذا من الفرية في الدين، و هي قولة شنيعة يجب تركها و الإعراض عنها، و منها تأويلهم لما ظاهره محال في النص إذا أرادوا التعيين فيما فسروه به من المعنى، قال الشيخ الأكبر هي من المباهتة و منها كلامهم في القدر المنهي عنه لغفلتهم عن الفرق بين الحكمة و المشيئة إذا تكلموا على أفعال العباد، فعلم صلى الله عليه و سلم أن العقول لا تقدر على الخوض فيه إلا من فتح عليه، فحجره عليهم بقوله: إذا ذكر القدر فأمسكوا[1]، فارتكبوا ما نهوا عنه، واجتهدوا في تبيين ما أخفاه الله، فكلما أرادوا أن يظهروه بالعبارة زادوه تغطية، لأن ما أراد الله إخفاءه لا يقدر مخلوق على إظهاره، وهذا من هذا القبيل[2]، و منها قولهم ترجيح العفو على العقاب، و بعبارة ترك المؤاخذة، و العفو أحسن من المؤاخذة، و قد قالوا: العادة قاضية و العقل مشير إلى التجاوز، و الصفح أحسن من العقوبة و الانتقام، و ثناء الناس على العافي أكثر من ثنائهم على المنتقم.

---

[1]- إشارة لقوله صلى الله عليه وسلم: إذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا، أنظر مسند الحارث 2: 750 رقم 752، جامع الأحاديث والمراسيل (حرف الهمزة مع الذال) 1: 207 رقم 1349، كنز العمال للمتقي الهندي (المجلد الأول) 1: 45 رقم 901.

[2]- مما يناسب هذا الموضوع قول العارف بالله سيدي عبد الغني النابلسي ضمن قصيدة له قال في مطلعها:

تب إلى الله من علـــوم الكلام	وتطهر وادخل إلى الإسـلام
سلم الدين للكـلام الـــذي قد	أنزل الله فهو خير كـــلام
هو قرآننا المبيـن فآمـــن	بالذي جاء فيه باستسـلام
واطلب الفهم من إلاهك فيــه	فعليه البيان للأفهــام
واعرف السنة التي ثبتــت عن	سيد المرسلين خير الأنــام
وتأمل ما قـال ربـك فيهـا	تجد الحق والصواب النامـي
وإذا لم تفهم فكن مؤمنــا لا	مستريبًا بعقلـك المستهــام
واجعل الصبر منك زادًا إلى أن	يفتح الله فيــه بالإنعــام
وإذا لم يفتح فحسبـك منــه	أنك المؤمن الجليل المقــام
واحترز من آراء أهل عقـول	تبعوا ما يقول أهل التعامـي
إن علم الكلام محض كـلام	في بيان الأعراض والأجسام
هو جرح للدين ما فيه أمــرٌ	ظاهر للعيان غير الأسامـي

إلى أن يقول:

قَلِّدِ الله يا ابن قومي وَ قَلِّـدْ	رسل الله أصـدق الأقــوام
إن تكن مؤمنا بربك أسلــمْ	لعلوم المهيمــن العــلام
لا تظن الدليل يهدي إليــه	أو يُرَى موقظا عيــون النيام
هو للعقل سُلَّمٌ للمعانـــي	تترقـى بـه إلى الأسقــام
كن بإيمانك المقلد واقنــع	فيه بالله والنبـي التهامـي
لا تفارق تقليد شرعك محضـا	خالصا عن شوائب الإنبهــام
كيف تدري العقول معرفة اللــــــه	وإدراكها على أقســام
لِمَتَى أنت هكذا في غـــرور	ها هو الموت مسرع الإقـدام
فتحفظ من حكم عقلك فيمـا	لست تدري من الأمور العظام
لا تخض بالعقول في ذاك واقعد	مؤمنًا مذعنًا لنيل المــرام

قال سيدنا رضي الله عنه: هذا القول لا يصح، و بيانه إذا كان ترك المؤاخذة أكمل منها لزم أن المؤاخذة و الإنتقام ممن أوعده الله نقص، و هو محال في حق مولانا جل و علا، لأنا نقول صفة الكرم في حق مولانا أكمل من صفة القهر و الإنتقام، بل جميع صفات مولانا كاملة لا تقبل نقصا و لا زيادة، إذا فهم هذا علم أن العفو و المؤاخذة سيان في حق مولانا تبارك وتعالى، و كل منهما كمال في حقه جل و عز، لأنه كما يتجلى باسمه الكريم يتجلى باسمه المنتقم، و مستند من قال العفو أحسن من المؤاخذة القياس في قياس القديم جل و علا على أفعال الحادث، و هو لا يصح هنا، لأنه ميل إلى التحسين و التقبيح العقليين، و هو لا يصح عندنا، نعم أما ما حسنه الشرع فهو الحسن، و ما قبَّحه فهو القبيح، و العقل تابع عندنا للشرع، قال الجزيري رضي الله عنه:

و الحسن للعقل و التقبيح أوقعهم — و نحن للشرع حكم إن يقل نقلِ

و كذلك ينشأ من التحسين و التقبيح العقليين مراعاة وجوب الصلاح و الأصلح الذي لا ينبغي في حق من له الإختيار التام في كل فعل أو حكم قال الإمام الجزيري:

و رعي أصلح لا تصغى لبدعته — فإنه مذهب أيضا لمعتزل

و إيضاح ما سبق لك أن تقول أن الأشياء بالنسبة إلى قدرة مولانا جل و علا على حد السواء، لا ترجيح لجانب الوجود على العدم، و لا لجانب الكمال على النقص، و حقيقة العالم على هذا كله واحدة، و العقل السليم قاض بهذا للمولى أزلا و أبدا، فإذا نظرت إلى المشيئة وتخصيصها من وجود هذا و ترك هذا في العدم، و فضل هذا و نقصان هذا، مما ظهر في الحكمة مرتبا على ما سبق في تخصيص المشيئة، تبين لك الأمر و علمت الفرق.

قال سيدنا رضي الله عنه: لأن جميع الموجودات منوطة بالمشيئة و الحكمة، مرتبة على ما سبق في المشيئة، و لهذا قال أهل الحق: لو تغيرت ذرة من العالم عن موضعها لتعطلت الألوهية بالكلية و هو محال، قال سيدنا رضي الله عنه: و بيانه أن ترتيب جميع الأشياء سبق تفصيله في المشيئة أزلا و أبدا، فلو انكشف الحجاب رئي هذا عيانا، و زال الريب، **وَ** على هذا فإن الترتيب المذكور قديم أزلي بقدم الصفة، و لا يتوهم من هذا أن الأشياء قديمة، لأنه لا يلزم، نعم إن أسماء الحوادث قديمة، و أما ترتيب الأشياء في علم الله من زمان و مكان ومقدار و صفة إلى غير هذا فإنه قديم أيضا، و ما رأيت أحدا أو سمعته بَيَّنَ هذا الفَرْقَ بسهولة سوى قدوتنا رضي الله عنه، و ما زال عنا الثقل و طرح الحمل حتى فهمنا هذا عنه رضي الله عنه.

و **سألته** رضي الله عنه عن الوعد و الوعيد، و ما قيل فيهما من أن الوعد واجب لا يمكن تخلفه، و الوعيد قد يتخلف في البعض لا في الكل، ما الدليل عليهما، فأجاب رضي الله عنه: أما الوعد دليله السمع، قال تعالى: إن الله لا يخلف الميعاد[1]، و قوله عز و جل: وعد الله لا

[1]- سورة الرعد، الآية 31

يخلف الله وعده[1]، و كذلك العقل قاض بهذا، و أما الوعيد فليس كذلك، و جوابه تقدم في قولهم ترك المؤاخذة، و العفو أحسن من المؤاخذة، فراجعه إن شئت و السلام، انتهى.

و **سُئِلَ** رضي الله عنه عن عدد الحسنات الوارد في فضل تلاوة القرآن لكل حرف، هل هي سواء في العدد، سواء دل اللفظ على ذات الحق أو على الخلق، أو هي متفاوتة بحسب الدلالة؟ فأجاب رضي الله عنه بأن العدد الوارد من العشرة إلى المائة لكل حرف هو مستوي لا تفاوت فيه كما توهم بعض، لأن الفضل المذكور فيه كونه صادرا عن الذات المقدسة، ومدلولا للكلام الأزلي، فمن هذه الحيثية كله واحد، لا التفات فيه لمدلولات الألفاظ، كما يلوح للعقل القاصر، فهذا هو الحكم الحق فيه إلا ما خرج بالنص كبعض السور و الآيات، فذلك مزية محصورة على محلها، لا يقاس عليها غيرها كما هو مذهب الأصوليين، و هو الحق والسلام.

و **سألني** سيدنا رضي الله عنه عن المألوهات هل عبادتها للذات أو بالأمر؟ فقلت له: بالأمر، فقال رضي الله عنه: أما الإجلال و التعظيم و الخضوع و التذلل تحت سطوة القهر فهو للذات واجب من كل مخلوق، و لو لم يكن أمر، حيوانا كان أو جمادا، عاقلا أو غير عاقل، لأنها كلها عابدة لله بهذا الوجه، و أما العبادة بالكيفية و التصورات كالركوع و السجود و غيرها من الكيفيات المحدودة فهي بالأمر، كأنه يقول سبحانه و تعالى: لا يبلغ قدركم هذا و لكن تفضلت عليكم برفع قدركم إلى هذه المراتب، و لن تصلوا إليها إلا بالأمر، فأمرتكم بها، فقلتُ لشيخنا على هذا إن المكلفين بهذه الكيفيات المحدودة لهم شرف على غيرهم من الحيوانات والجمادات العابدين من غير كيفية، فقال: لا فرق في عبادتها بالكيفية إلا عند المحجوب، وأما من رفع عنه الحجاب فيراها كلها ساجدة و مسبحة حقيقة بلسان قولها لا بلسان حالها كما عند أهل الظاهر، انتهى كلامه بالمعنى رضي الله عنه.

و **سئل** عن قوله تعالى : قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله[2]، فأجاب بما في الجواهر من غير زيادة و لا نقص، إلا أنه فيه تقديم و تأخير في تلفيق الجواب و الله الموفق.

و **سئل** رضي الله عنه عن قوله تعالى: قال رب أرني كيف تحيي الموتى[3]، في حق سيدنا إبراهيم عليه السلام و عن قوله تعالى: يا زكرياء[4]. إلخ، فأجاب بما في الجواهر حرفا بحرف، ثم قال و أجاب عن الآية التي في حق سيدنا إبراهيم عليه السلام بجواب غير ما تقدم، و أبين منه و أوضح، ثم ذكر ما في الجواهر من الجواب عنها بالخصوص.

و **سئل** سيدنا رضي الله عنه عن بعض الآيات الواردة في حق الأنبياء عليهم السلام، بعد أن وقفت على كلام بعض العلماء رحمهم الله فيها مما لا يليق بمنصب النبوءة و الرسالة

---

[1]- سورة الروم، الآية 6

[2]- سورة آل عمران، الآية 31

[3]- سورة البقرة، الآية 260

[4]- سورة مريم، الآية 7

والملكية، منها قوله تعالى: إنا فتحنا لك فتحا مبينا[1]. و غيرها من الآيات التي يأتي ذكرها بعد إن شاء الله، فأجاب بما في الجواهر، إلا أنه قال في الجامع عند قوله: و أما ضر سيدنا أيوب عليه السلام ما نصه: سئل سيدنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: و أيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر[2]. ما المراد بهذا الضر الذي مسه حتى طلب من الله كشفه؟ أهو ضر البدن كما يقوله أهل التفسير، أو غيره كما في الإبريز؟ و لا نظن صاحبه يقوله لأنه قطب، و إن العارف لا يلتفت لغير الله، فكيف يقال هذا في حق الرسول.

قال بعض العارفين: فلو كلفت أن أرى غيره ما استطعت، و كلام العارفين في هذا المعنى كثير، و إذا كان هكذا فكيف يتصور الإلتفات في حق الأنبياء عليهم السلام؟ فأجاب رضي الله عنه بقوله: اعلم أن الضر الذي ذكره أيوب عليه السلام لا طريق إلى الجزم بتعيينه بشيء إلا من قِبَلِه صلى الله عليه و سلم، و لم يحفظ عنه في هذا الباب شيء، فوجب التوقف عن تعيينه لعدم النص فيه، انتهى.

و أما ما قاله في الإبريز من الإلتفات لغير الله الذي صورته الغفلة عن الله و السهو عنه بمتابعة الهوى[3]، فهذا لا يتأتى في حق العارفين، فكيف بالنبيين عليهم الصلاة والسلام، و إنما الإلتفات لغير الله عند العارفين هو الجولان في أسرار المراتب نزولا عن صرافة التوحيد، فإن الصديق الكامل لا بد له من الأمرين، و هما الوقوف في صرافة التوحيد و الجولان في أسرار المراتب، فإن الصديق لو وقف في صرافة التوحيد دائما مستغرقا فيها عن مشاهدة المراتب لم يكن صديقا كاملا حينئذ، و لا يصح للخلافة و لا للنيابة عن الله تعالى، لإخلاله بكمال المرتبة، فإن الكامل له الوقوف في المرتبتين، الأولى صرافة التوحيد، فإنها لا تقبل الغير و الغيرية إلا واحدا من كل وجه، و أما الثانية فهي مرتبة المراتب، و هي مراتب الوجود الصورية، فإنه يلزمه في كل مرتبة أحكام و لوازم و مقتضيات و تجليات، و له في كل شيء أعمال و وظائف، إذا وَفَى بما كملت له المرتبة، و إذا لم يكملها كان ناقصا.

فلو أن العارف وقف في صرافة التوحيد باختياره متغافلا عن المراتب كان غير قائم بحقوق الله تعالى، متلاعبا بأمره، و لا يطلق عليه اسم الكمال، إنما صورته صورة المجذوب الأحمق، و النبيئون و الصديقون لهم كمال الوقوف في صرافة التوحيد، و لهم كمال الوقوف في التوفية بحقوق المراتب، فوقوفهم في صرافة التوحيد لا يحجبهم عن وفاء حقوق المراتب، و توفيتهم بحقوق المراتب لا يحجبهم عن الوقوف في صرافة التوحيد، فإن موسى عليه السلام كان في زمان رعايته لغنم شعيب عليهما الصلاة و السلام، كان جاء يوما إلى وادي كثير الذئاب، و غلبه النوم حتى علم أن قواه تعطل من النوم، و لا يبقى عقل في حفظ الغنم، و علم إن نام غارت الذئاب على الغنم و أفسدتها، و تمكن عجزه عن حفظ الغنم من الذئاب، فقال حينئذ: أحاط بكل شيء علمك، و نفذ في كل شيء حكمك، ثم نام، فلما استيقظ

---

[1]- سورة الفتح، الآية 1

[2]- سورة الأنبياء، الآية 83

[3]- أنظر الذهب الإبريز، لأحمد بن مبارك اللمطي عند تفسير قوله تعالى: وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر، إهـ.. ص 260

وجد عصاه على رقبة ذئب من الذئاب، و هو يجول بها و يطرد الذئاب بها عن الغنم، فقال يا رب ما هذا؟ فقال الله له: يا موسى كن لي كما أريد أكن لك كما تريد.

فإنه كان في حفظ الغنم ما كانت قواه متمكنة من التصرف، و عقله متمكنا من التمييز والتصرف في حفظ الغنم و رعيها، و لما انعدمت الأسباب لثبوت عجزه رجع لمراقبة التوحيد، فحفظها الله تعالى، فثبت من هذا أن التصرف في المراتب ليس هو حجاب عن الله، فمراقبة التوحيد هي الذات المقدسة، و المراتب هي صفات الله و أسماؤه، فالموجودات لا تعقل الذات المقدسة من حيث ما هي هي إلا بتعقل صفاتها و أسمائها، فالمراتب هي اسم الله و ليست غيره، لأن المراتب هي ذوات الموجودات، و كل ذرة من الموجودات لها اسم من أسماء الله، و صفته من صفات الله، فلا تخلو ذرة من هذا، و تلك الأسماء و الصفات هي ظاهرة في مضمرية الذات المقدسة، أعني الصفات و الأسماء، فلا يرى العارف في المراتب كلها إلا الله وحده، و في شهود المراتب ما هو محجوب على الله، إنما يرى الله عيانا، و ميله عن صرافة التوحيد إلى المراتب ما هو ميل لغير الله، و لا التفات عنه إلى غيره، لأن صرافة التوحيد تنعدم فيها النسب و الصفات و الأسماء، و أما المراتب فإن الله عز و جل متجلي فيها بصفاته و أسمائه، و لكل صفة أو اسم حدود و تجليات، و علوم و معارف وأسرار و آداب ليست في غيرها، فتبين لك أن تقلب العارف في المراتب، و جولانه في أسرارها و خواصها و مقتضياتها و لوازمها أمر لا يسعه تركه، لا ما قل و لا ما جل، فهذا هو الذي يطلق عليه التلفت لغير الله تعالى، فتبين لك أن النبيئين عليهم الصلاة و السلام لا يغيبون في صرافة التوحيد للغيبة عن المراتب، لأن ذلك إخلال بمرتبة الألوهية، أعني بآداب حقوقها، فلا تلتفت حينئذ، انتهى.

و **سألت** سيدنا رضي الله عنه عما ذكر بعض المعبرين في حق سيدنا داوود على نبينا و عليه الصلاة و السلام أنه تمنى كذا بقلبه، و أمر الرجل بكذا ليفعل هو كذا، فأجاب رضي الله عنه بقوله: معاذ الله أن يصدر هذا من المعصوم، و إنما حكى الله عنه أن الخصمين اختصما في نعاج من الغنم لا غير كما قال سبحانه و تعالى إن هذا أخي له تسع و تسعون نعجة[1] الآية، ومن المعلوم عند المحققين أن القرآن لا يفسر إلا بالخبر الصحيح، و لا يصرف عن ظاهره إلا إذا كان مستحيلا، و كلا الأمرين منتف هنا، فلا خبر صحيح يعتمد عليه، و لا قرينة تصرفه عن الظاهر.

قال عياض رضي الله عنه: و أما قصة داوود عليه السلام فلا يحل أن يلتفت إلى ما سطره فيها الأحباريون عن أهل الكتاب الذين بدلوا و غيروا، و نقله بعض المفسرين، و لم ينص الله على شيء من ذلك و لا ورد في حديث صحيح ثم قال بعد هذا المحل: قال الداودي ليس في قصة داوود خبر يثبت، و لا يظن بشيء محبة قتل مسلم، انتهى، و إذا فهمت هذا تبين لك أن الآية على ظاهرها و ليس ما قيل من التأويل الذي ينبغي حتى في صالح عامة المؤمنين، فكيف يقال في صفوة الله هذا التأويل الشنيع، نعوذ بالله من التخليط.

[1]- سورة ص، الآية 23

قال الإمام المحقق سيدي محمد السنوسي رضي الله عنه: و لا تصغ لجهالة المفسرين، وكذبة المؤرخين فيما ينسبونه لصفوة الله الأنبياء، مما لا يليق بمراتبهم العالية، انتهى، قلت لسيدنا رضي الله عنه فمِمَّ تاب سيدنا داوود عليه السلام؟ قال من ظنه أنه أخطأ في الحكم فقط لا غير كما أخبر الله بقوله عز و جل: و ظن داوود أنما فتناه[1] الآية، قلت له: ظنه ليس بذنب في نفس الأمر، قال: أكابر الصديقين ليسوا كغيرهم، فإنهم يؤاخذون بمثاقيل الذر كما قدمنا، لأن الحضرة مطلوبة بالأدب، فمن كان فيها و غفل أو نسي و لو في أقل قليل يؤاخذ عليه، و لم يعذر كغيره، انتهى، و هذا الجواب ذكره في الجواهر مبسوطا أكثر من هذا، مع نوع مخالفة، و نسبه لصاحب الجامع، و ليس في الجامع إلا ما تقدم و الله أعلم.

و **سألته** رضي الله عنه عما حكى الله تعالى عن الخليل عليه السلام في قوله تعالى: إني سقيم[2]، و قوله تعالى: فعله كبيرهم هذا[3]. و في الخبر هي أختي لزوجته، فأجاب رضي الله عنه بما في الجواهر مع زيادة بسط اقتضى أن نذكر هذا الجواب هنا من محمل المخالفة منبها عليها لتتم الفائدة، قال رضي الله عنه: فكل هذه القولات الثلاث مباحة للخليل عليه السلام فإنه مشرع و خليفة، فعل ذلك بإذن إلاهي، فلا توزن أفعاله و لا تقاس على غيره، لأنه ما أراد بها إلا الحق، فكل ما صدر منه فهو موافق لشريعته، فهذا غاية ما يذكر في حقه عليه الصلاة و السلام إلى أن قال: و إذا فهمت هذا علمت أن الذنوب التي ذكرت في حق الرسل عليهم الصلاة و السلام، و الأفعال التي صدرت منهم في صورة المخالفة إنما فعلوها للوجه الذي ذكر فيما تقدم.

وَ أما قوله تعالى: و عصى آدم ربه فغوى[4] الآية. قال سيدنا رضي الله عنه فهو في الصورة لا غير، بدليل أنه سبحانه و تعالى ذكر عذره، قال تعالى: و لقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي، و لم نجد له عزما، و في الشرع أن الناسي لا يؤاخذ، و لكن الكمل من عباده ليسوا كغيرهم كما قدمنا، فقلت لسيدنا: فإذا كانت مخالفته ليست بذنب، فلما ذكر الله توبته؟ قال: من صورة المخالفة، لأنها في الظاهر ذنب، و إن كانت في نفس الأمر ليست بذنب، لأنه فعلها ناسيا كما تقدم في الآية، و إنما العتاب و المؤاخذة في الغفلة عن الآداب، و عدم العلم بالوجه المطلوب فعلا أو تركا كما تقدم.

قال أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: و الله ما أنزل الله آدم إلى الأرض لنقصه، و إنما أنزله إلى الأرض ليكمله، فلم يزل آدم عليه السلام راقيا إلى الله تعالى تارة على معارج التعريف و التخصيص، و تارة على معارج الذلة و المسكنة، و هو التحقيق الأتم، و يجب على كل مؤمن أن يعتقد أن النبي و الرسول لا يتنقلان من حالة إلا إلى حالة أكمل منها، وافهم قوله سبحانه و تعالى: و للآخرة خير لك من الأولى[5]. ثم قال: و إذا عرفت هذا فاعلم أن الحق سبحانه و تعالى له التدبير و المشيئة، و كان قد سبق من تدبر مشيئته أنه لا بد أن

---

[1]- سورة ص، الآية 24
[2]- سورة الصافات، الآية 89
[3]- سورة الأنبياء، الآية 63
[4]- سورة طه، الآية 121
[5]- سورة الضحى، الآية 4

يعمر الأرض بنو آدم، و أن يكون منهم كما شاء محسن و ظالم لنفسه مبين، و كان من تدبير حكمته أن لا بد من تمام ذلك و ظهوره إلى عالم الشهادة، فأراد الحق سبحانه و تعالى أن يكون تناول آدم الشجرة سببا لنزوله إلى الأرض و نزوله سببا لظهور مرتبة الخلافة التي من بها عليه، ثم قال: و الله لقد أنزل الله آدم إلى الأرض من قبل أن يخلقه، كما قال سبحانه وتعالى: إني جاعل في الأرض خليفة[1]. فمن حسن تدبير الله لآدم أكله من الشجرة، و نزوله إلى الأرض سبب إكرام الله إياه بالخلافة و الإمامة، ثم قال:

فائدة اعلم أن أكل آدم الشجرة لم يكن عنادا و لا خلافا، فإما أن يكون نسي الأمر فتعاطى الأكل و هو غير ذاكر، و يحمل عليه قوله سبحانه و تعالى: و لقد عهدنا. الآية. انتهى. قال شيخنا أبو العباس التجاني رضي الله عنه اعلم أن في أكل آدم الشجرة آية للمعتبرين، و أسوة للتائبين، من إظهار باهر قدرة الله، و عجائب صنيعه، و موافقته لما سبق في مشيئته من اجتباء آدم، و خلافته بسبب مخالفته، و طرد إبليس و لعنه و إهانته بعد اصطفائه، و تعبه بكثرة عبادته، ليعلم أن الشقاوة و السعادة ليستا مرتبطة بالعلل، و إنما السعيد من سعد في الأزل، و الشقي كذلك، و لذلك إن إبليس لما طرد بسبب مخالفته لأمر ربه، و كتب قلم الشقاوة الأبدية عليه، أخذ يغضب مولاه و يعانده و يتوعَّد عباده بالغواية، كما حكى الله عنه، قال له سبحانه و تعالى: فاخرج منها فإنك رجيم، و إن عليك اللعنة إلى يوم الدين[2] لأنك مخلوق لنفسك، و تعبك لحظك و شهواتك، و ما رأيته في بدايتك فهي ملابس مستعارة لك، والأصل هو طردك و شقاوتك، و لذلك خلقتك، أما آدم فمخلوق للسعادة الأبدية، و النعم السرمدية، و الخلافة العظمى، فشتان ما بينهما.

فمن ذلك صار إبليس مظهرا للغواية و الضلال، كما كان سيد الوجود، و علم الشهود صلى الله عليه و سلم مظهرا للهداية و التوفيق و السعادة، فهما في عالم الحكمة عينان متقابلتان، في غاية المضادة و التنافي، و لهذا قال صلى الله عليه و سلم: بعثت داعيا و ليس لي من الهداية شيء، و بعث إبليس غاويا و ليس له من الغواية شيء[3].

و ما ذكرناه من المظهرين فهو في الحكمة، و أما في المشيئة فإبليس فرع عن الحقيقة المحمدية، لأنها هي الأصل في كل مظهر في الوجود بأسره فردا فردا، و السلام، انتهى، وأما نبوة سيدنا آدم عليه السلام فقد تقدم الكلام عليها في قوله تعالى: و النجم إذا هوى. الآية.

و أما قوله تعالى: و لقد همت به و هم بها[4]. الآية. حكاية عن سيدنا يوسف عليه السلام. قال شيخنا رضي الله عنه: همَّ بها يحتمل همَّ بالمعصية، و يحتمل همَّ بالبطش بها غضبا لما طلبته

---

[1]- سورة البقرة، الآية 30

[2]- سورة الحجر، الآية 34-35

[3]- ومنه أيضا قوله صلى الله عليه وسلم: بعثت داعيا ومبلغا وليس إلي من الهدى شيء، وخُلِقَ إبليس مزينا وليس إليه من الضلالة شيء. إهـ.. أنظر جامع الأحاديث والمراسيل (حرف الباء مع العين) 4: 23 رقم 9954. الفتح الكبير، للحافظ السيوطي (حرف الباء) 2: 8 رقم 5153. كنز العمال، للمتقي الهندي (المجلد الأول) 1: 35 رقم 546.

[4]- سورة يوسف، الآية 24

بفعل الفاحشة، فأما إن قلنا همَّ بالمعصية، فالعصمة مانعة منها، فلم يبق إلا كونه همَّ بالبطش بها غضبا لولا أن رأى برهان ربه، فلما رأى البرهان تركها، إذ علم من البرهان أنه معصوم، و أما قوله و ما أبرئ نفسي[1]. أقول: في الجواهر قبل قوله و ما أبرئ نفسي زيادة كلام في البرهان و قد وافق الجامع في الكلام على قوله و ما أبرئ نفسي إلى قول الجواهر، لأن الله أيَّدهم بروح منه، و من أيَّده الله لا تتأتى منه المخالفة للحق، و لو في حتف أنفه.

زاد في الجامع قال رضي الله عنه: و أما غيرهم من البشر فإنهم على أقسام، فمنهم من بشريته حاكمة عليه، إن شاءت فعلت و إن شاءت تركت، فالحكم لها على الإطلاق، و منهم من تارة و تارة و هم عامة المؤمنين، و منهم من له قوة قامعة لبشريته، و لكن دون قوة الأنبياء، و لذلك لم تثبت لهم العصمة و إن بلغوا ما بلغوا في ارتفاع القدر، و لذلك لما سئل إمام القوم الجنيد رضي الله عنه هل يفعل العارف كذا و كذا؟ أطرق ساعة ثم قال: و كان أمر الله قدرا مقدورا[2].

و من هذه البشرية المحكوم بها لجميع بني آدم يعلم أن ما ذكر بعض الناس في هاروت وماروت من تمنيهم للمعصية باطل و لا يصح، لأن الميل للشهوات ليس من طبع جنسهم، قال تعالى في حق جنسهم: عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون[3]، ثم قال شيخنا رضي الله عنه: و لا يصح في حق هاروت و ماروت إلا ما ذكرته الآية، و ليس في الآية ذكر معصيتهم و لا عذابهم، فعلى المؤمن العاقل أن يعتقد النزاهة و الطهارة في حق من طهره الله من الدنس، فيسلم من جميع الاحتمالات التي لم يعلم لها أصل صحيح، انتهى.

قال صاحب الإبريز سألت الشيخ رضي الله عنه عن اختلاف عياض و ابن حجر في قضية هاروت و ماروت فإن الأول أبطل الأحاديث الواردة فيها، و الثاني أثبتها و تبعه الحافظ السيوطي، قال في كتابه الحبائك أنه استوفى طرقها في تفسيره الكبير، فقال له رضي الله عنه: الحق مع عياض رحمه الله، انتهى[4].

و من كلامه رحمه الله أن الأنبياء عليهم أفضل الصلاة و السلام معصومون قبل النبوءة وبعدها، و قال أيضا: نزول الوحي يتبع خواطر الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، فإذا خطر ببال النبي شيء أو تحدث به في نفسه نزل الوحي به، وَ بذا تعلم أن خواطرهم كلها حق، وأن وساوسهم كلها من الله، و قال في قوله تعالى: و تخشى الناس و الله أحق أن تخشاه[5]، و في قوله تعالى عفا الله عنك[6]. الآية. قال: تحدث في باطنه فنزل آية تفضحهم، و إنما منعه هو من أن يباشر فضيحتهم للرحمة التي فيه و وصية الله له، فتحدث في باطنه بفضيحتهم على وجه

[1]- سورة يوسف، الآية 53
[2]- سورة الأحزاب، الآية 38
[3]- سورة التحريم، الآية 6
[4]- أنظر الذهب الإبريز، لأحمد بن المبارك اللمطي، عند شرح قوله صلى الله عليه وسلم وإنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة. إهـ.. ص 244
[5]- سورة الأحزاب، الآية 37
[6]- سورة التوبة، الآية 43

يبين كونها من الله لا منه للحياء الذي فيه، فأحب أن تنزل الآية في صورة العتاب له لتكون أبعد عن التهمة، و أدخل في محض النصيحة، و أزجر لهم عن الإشتغال بالنفاق مع النبي صلى الله عليه و سلم مرة أخرى، فنزلت الآية على ما في خاطره، فإن الله تعالى هو وكيله على من ينافقه و خصيمه و حجيجه، فنظمت صورة هذا العتاب مصالح شتى، و في الباطن لا عتاب، و إنما ناب الحبيب عن حبيبه في المخاصمة لا غير، و لا ينبغي لأحد أن يظن بالنبي صلى الله عليه و سلم أنه كان لا يعلم الصادق من الكاذب من المعتذرين، و كيف يخفى عليه ذلك و المفتوح عليه في هذا الزمان يعلم الصادق و الكاذب منهم في ذلك الزمان، و أهل الفتح إنما نالوا ما نالوا بمحبته صلى الله عليه و سلم، فسقوا بمقدار شعرة من نوره صلى الله عليه و سلم، انتهى، من الإبريز [1].

قال شيخنا رضي الله عنه أما ما ذكره هذا الولي الكبير في قوله تعالى: و تخشى الناس، وفي قوله تعالى عفا الله عنك. الآية. فهو ظاهر و هو الحق، وَ أما غيرها من الآيات الواردة في حق الأنبياء فلم يظهر فيها هذا الوجه الذي ذكره رضي الله عنه، و الله أعلم بمراده، انتهى، ويجب على المؤمن المحافظ على إيمانه أن يحفظ لسانه و باطنه من تهور الكلام في المراتب التي طهرها الله و قدسها من جميع الدنس، و هم الرسل و الأنبياء و الملائكة عليهم السلام، انتهى.

و**سئل** سيدنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: و لو أنهم إذ ظلموا جاءوك فاستغفروا الله. الآية. فأجاب رضي الله عنه بما في الجواهر و زاد في الجامع زيادات بعد ذكره لبعض محبطات الأعمال حتى قال: وكذلك سب الصحابة رضوان الله عليهم لما ذكر في الحديث أنه لا يقبل منه صرف و لا عدل ثم قال عقبه، و كذلك سب أهل بيته، لأنه يؤذيه صلى الله عليه و سلم، و من آذاه ملعون في كتاب الله، فمن باب أحرى إذهاب حسناته، فكل ما كان من المحبطات في ذات الفعل تحبط العمل الذي وقعت فيه لا تتعدى لغيره.

---

[1] ـ أنظر الذهب الإبريز، لأحمد بن المبارك اللمطي، عند تفسير قوله تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه، ص 272- 274

و الدليل على كل واحدة من المحبطات الخارجة عن الفعل كما قال سيدنا رضي الله عنه أما صلاة العصر ففي البخاري عنه صلى الله عليه و سلم من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله[1] ، وفي رواية كأنما وتر أهله وماله وولده[2]. إه.. وأما القذف، ففي مسلم: من قذف محصنة مومنة أحبط الله له عمل مائة سنة[3]. إهـ، وأما أكل الأجرة ففيه: من ظلم أجيرًا أجرته أحبط الله عمله، وحرم عليه ريح الجنة، وريحها يوجد من خمسمائة عام[4]، ذكره في الخطبة الأخيرة عنه صلى الله عليه وسلم، وأما سب الصحابة، ففيه قوله صلى الله عليه و سلم: من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل منه صرف ولا عدل[5]، وأما سب آله وإذايته فقال صلى الله عليه و سلم: لا تؤذوني في قرابتي، فمن آذاهم فقد آذاني، قلت: ومن آذاه لا تكتب له حسنة، وأما الدوام على أكل الحرام فإن دليله في النصيحة الكبيرة لسيدنا رضي الله عنه، فانظره إن شئت، والمحبطات الخارجة عن الفعل هي التي تحبط كل عمل تقدمها.

وسئل سيدنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: لقد تاب الله على النبيء والمهاجرين والأنصار، ما معنى هذه التوبة في حقه صلى الله عليه و سلم؟ فأجاب بما في الجواهر، ثم قال: قلت له: ولعله هذا معنى الآية إن الله يحب التوابين[6]، قال لي: نعم، ولذلك قال صلى الله عليه و سلم: لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم[7]، فهذه فائدة مقارفة الذنوب لهذه الأمة. قلت له: إن في العادة المعروفة كل من يكثر الذنوب فهو مُصر، لأن الغالب أن التائب لا يكثر من صدور الذنوب، وإن كان يكثر الذنوب مع كثرة التوبة فهو متلاعب، لأن كثرة التوبة سبب في الهروب من مقارفة الذنوب، كما هو المعروف عند المسلمين فيمن تاب من ذنبه يهرب حتى من قرب أسبابه، فضلا عن مواقعته فيه.

[1]- رواه الإمام البخاري في صحيحه (كتاب مواقيت الصلاة) باب إثم من ترك صلاة العصر رقم 546، باب التكبير بالصلاة في يوم غيم رقم 587

[2]- رواه الإمام البخاري في صحيحه (كتاب مواقيت الصلاة) باب إثم من فاتته العصر رقم 545، صحيح الإمام مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة) باب التغليظ في تفويت صلاة العصر رقم 1368 رقم 1370

[3]- من هذا القبيل ما رواه الحافظ البخاري في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات. إهـ.. صحيح البخاري (كتاب الوصايا) باب قول الله تعالى إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا. رقم 2707 . (كتاب الحدود) باب رمي المحصنات رقم 6705. صحيح مسلم (كتاب الإيمان) باب الكبائر وأكبرها رقم 222.

[4]- من حديث نبوي طويل، أنظر مسند الحارث 1: 309 رقم 206

[5]- أنظر مجمع الزوائد، للهيثمي (كتاب علامات النبوة) باب ما جاء في حق الصحابة 9: 747 رقم 16426، رقم 16424. جامع الأحاديث والمراسيل (حرف الميم مع النون) 7: 38 رقم 20702. الفتح الكبير، للحافظ السيوطي (حرف الميم) 3: 196 رقم 11844. مصنف ابن أبي شيبة (كتاب الفضائل) ما ذكر في الكف عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم 7: 550 رقم 28154.

[6]- سورة البقرة الآية 222

[7]- أنظر مجمع الزوائد، للهيثمي (كتاب التوبة) باب منه في سعة رحمة الله 10: 363 رقم 17627

فقال رضي الله عنه: النص ثابت وهو قوله صلى الله عليه وسلم: ولو عاد في اليوم سبعين مرة[1]. وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم إذا اعترف العبد بذنبه ثم تاب منه تاب الله عليه[2]. فلا يلتفت مع هذا لأقوال الناس ولا لعوائدهم، رب ذنب أدخل صاحبه الجنة، قال صاحب الحكم: رب معصية أورثتك ذلا وافتقارا، خير من طاعة أورثتك عزا واستكبارا[3]، ثم قال الشيخ: يتوب العبد المرة تلو المرة فلا يتوب، فإذا تاب الله عليه مرة واحدة تاب، قلت له: ما معناه؟ قال: إذا لم يرد الله بالتوبة لا يترك فعل الذنوب و لو تاب ألف مرة عنها، فإذا أراد الله بالتوبة منها و تاب عليه لم يرجع إليها أبدا، و لم تكتب عليه إذا فعلها، لما قدمناه من الأخبار، و إذا لم تكتب عليه فهو تائب منها و لو فعلها ألف مرة، و لهذا قال بعضهم لا يكون البدل بدلا حتى يبقى أربعين عاما و لم يكتب عليه صاحب الشمال.

ثم قال الشيخ رضي الله عنه: و معنى هذا أنه مهما صدرت منه سيئة تاب منها في الحين، لا عدم فعلها منه أصلا، و مذهب شيخنا رضي الله عنه أن قبول التوبة قطعي كما صرح به في آخر شرح جوهرة الكمال، و وافقه شيخه الشيخ محمود الكردي رضي الله عنهما. قال الله تعالى إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة[4]. الآية. و قوله تعالى: إلا من تاب وآمن و عمل صالحا. الآية. و قوله تعالى: و هو الذي يقبل التوبة عن عباده[5]. إلى غير هذا من الآيات و الأحاديث الدالة على القبول أنه قطعي، لأنه وعد التائب بالقبول و وعده لا يخلف عند أهل الحق.

فإن قيل على مذهب الجمهور: القبول القطعي المستفاد من الوعد يمكن أن يكون في بعض الأفراد و لا يلزم منه العموم، قلت: إن هذه الآية المذكورة عامة في جنس التائب، و لا دليل على خصوصها لفرد دون آخر، و أيضا إن الكريم إذا وعد بأمر لا بد من وفائه عند أهل الحق، و في التعبير بصيغة الماضي في الخبر المتقدم، و هو قوله صلى الله عليه و سلم: تاب الله عليه إشارة إلى تحقيق الوقوع، لأن تلك حقيقة الماضي في اللغة، فإن قيل أيضا على مذهب الجمهور: لو كان القبول قطعيا لزم أن لا يعود للذنب من تاب منه، قلنا: لا يلزم بل كلما أذنب يجب عليه أن يتوب منه، و لا يكون نقضا للتوبة الأولى للخبر المتقدم، و هو قوله صلى الله عليه و سلم: و لو عاد في اليوم سبعين مرة، و قوله التائب من الذنب كمن لا ذنب

---

[1]- إشارة لقوله صلى الله عليه وسلم: ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة، إهـ.. أنظر مسند الشهاب القضاعي 2: 13 رقم 788، مسند أبي يعلى (مسند أبي بكر الصديق) 1: 124 رقم 135، جامع الأحاديث والمراسيل (حرف الميم مع الألف) 6: 238 رقم 18439. الفتح الكبير، للحافظ السيوطي (حرف الميم) 3: 80 رقم 10479، الأذكار للنووي، باب الدليل على أن دعاء المسلم يجاب بمطلوبه أو غيره، وأنه لا يستعجل بالإجابة 1: 403 رقم 1227.

[2]- من حديث طويل رواه الحافظ البخاري في صحيحه (كتاب التفسير) باب قوله تعالى لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين. إلخ.. رقم 4632، (كتاب الشهادات) باب تعديل النساء بعضهن بعضا رقم 2609، (كتاب المغازي) باب حديث الإفك رقم 4052، صحيح مسلم (كتاب التوبة) باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف رقم 6969.

[3]- أنظر الحكم العطائية الكبرى، رقم الحكمة 96

[4]- سورة النساء، الآية 17

[5]- سورة الشورى، الآية 25

له، و قوله صلى الله عليه و سلم: لو لم تذنبوا الحديث، فإذا قدر الله على العبد ذنبا رجع إلى التوبة و هكذا، فهذا ما كلف به.

و أما عدم فعل الذنب فلا طاقة له به، و في قوله عز و جل: إن الله يحب التوابين[1]. إشارة إلى اعتنائه بعبده التائب من ذنبه و قبول توبته، و لو لم يقبل الله توبته ما أحبه، و كذلك فرحه بعبده التائب دليل على قبول توبته، و لا يلزم من قبول التوبة أنه قطعي أن تقطع للتائب بالسعادة كما ألزمه المقابل، لأن ذلك أمر مغيب، و عاقبته مجهولة لا تدرى، و هذا الذي قطع أكباد الفحول بالخوف، و إنما نحن نتكلم على ما يظهر من نصوص الكتاب و السنة، و أما السعادة فليست متوقفة على العمل الصالح، و كذلك الشقاوة ليست متوقفة على أفعال الذنوب، و إنما الأعمال علامات في الظاهر على ما سبق، و قد توافق ما في نفس الأمر و قد تخالف، لأن اللاحق لا يكون سببا في السابق، و لذلك قال صلى الله عليه و سلم: و لن يدخل أحدكم عمله الجنة، قالوا: و لا أنت يا رسول الله، قال: و لا أنا إلا أن يتغمَّدني الله بالرحمة[2]. قال بعض المحققين إن العبد إذا تاب و وفَّى الشروط كلها و بقي على الاستقامة ظاهرا و باطنا فإن قبول توبته قطعي، انتهى، معنى عبارته.

قال شيخنا رضي الله عنه إذا أراد شخصا بعينه لا يقطع له على مذهب الجمهور إلا أن يزاد بعد قوله ظاهرا و باطنا، و كان سعيدا في الأزل، و إن أراد عموم التائب فالتوبة مقطوع لهم بقبولها، و لا بد من طائفة يقبل الله توبتهم، و لكن القبول المقطوع به في زيد و عمرو هو المنفي عند الجمهور، و قالوا قبول التوبة زيد و عمر ظني لا قطعي، و أما في الجملة فهو واقع، و فروا من القطعي لزيد و عمرو لجهل الخاتمة، لأن الأعمال بالخواتم، و لخبر يعمل الرجل بعمل أهل الجنة[3] الحديث. قلت للشيخ: لا فرق بين توبة العاصي و الكافر على مذهب الجمهور، لأن العاقبة مجهولة في كل منهما بالنظر إلى أفراد كل جنس فكيف قطعوا بقبولها للكافر دون العاصي؟ قال: ما قلته صحيح، لأنهما بالنظر إلى المشيئة سواء، و إنما حكموا بالقطع لقبول توبة الكافر لورود النص فيه بعينه، و مخالفة النص الصريح خروج عن ربقة الشريعة، و إن حكموا له بالقطع لقبول توبته فلا يحكم له بالسعادة لجهل عاقبة أمره كيف يكون عند الله، و كذلك لا يحكم على كافر بعينه أنه شقي لجهل أمر مآله، انتهى، بالمعنى.

قلت للشيخ رضي الله عنه أن بعض من ينتسب إلى العلم سئل يوما و أنا حاضر عن قوله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا[4] في حالة قراءته فوق كرسيه، فلم يدر ما يقول. قال الشيخ رضي الله عنه: لو كنت أنا لقلت رش عليهم من نوره، فتابوا بسبب ذلك النور المنصب عليهم، و هو المعبر عنه بقوله تعالى: ثم تاب عليهم، انتهى.

---

[1]- سورة البقرة، الآية 222

[2]- رواه الحافظ البخاري في صحيحه (كتاب الرقاق) باب القصد والمداومة على العمل رقم 6316 رقم 6320 (كتاب المرضى) باب تمني المريض الموت رقم 5545، صحيح مسلم (كتاب صفة القيامة) رقم 7063، 7065، 7066 و 7071.

[3]- من حديث طويل رواه البخاري في صحيحه (كتاب بدء الخلق) باب ذكر الملائكة رقم 3138 (كتاب الأنبياء) باب خلق آدم وذريته رقم 3262.

[4]- سورة التوبة، الآية 118

و **سئل** رضي الله عنه عن قوله تعالى: و عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو [1] الآية، فأجاب رضي الله عنه بما في الجواهر، و زاد في الجامع عقبه: قال صاحب الإبريز رضي الله عنه قلت للشيخ: فإن علماء الظاهر اختلفوا هل كان صلى الله عليه و سلم يعلم الخمس المذكورة في قوله تعالى: إن الله عنده علم الساعة[2] الآية. فقال رضي الله عن ساداتنا العلماء و كيف يخفى أمر الخمس عليه صلى الله عليه و سلم و الواحد من أهل التصرف من أمته الشريفة لا يمكنه التصرف إلا بمعرفة هذه الخمس[3].

و **كذلك سألته** رضي الله عنه عن قول العلماء في معرفة ليلة القدر أنها رفعت على النبي صلى الله عليه و سلم، و لهذا قال: اطلبوها في التاسعة في السابعة في الخامسة[4]، و لو بقيت معرفتها عنده عليه السلام لعينها لهم، فقال رضي الله عنه: سبحان الله، و غضب ثم قال: والله لو جاءت ليلة القدر و أنا ميت، و قد انتفخت جيفتي، و ارتفعت رجلي كما تنتفخ جيفة الحمار لعلمتها و أنا على تلك الحالة، فكيف تخفى على سيد الوجود صلى الله عليه و سلم، و قد عيَّنها لنا في أعوام، و كذا كان يعين لنا ساعة الجمعة، انتهى[5].

و سئل رضي الله عنه عن حديث الغرانيق[6]، و عن قوله تعالى: و ما أرسلنا من قبلك من رسول و لا نبيء إلا إذا تمنى[7]. الآية. فأجاب رضي الله عنه بجواب نفيس عنها و عن حديث الغرانيق، و بسط الكلام على ذلك أطول مما في الجواهر في فصل إزالة اللبس، و وضوح التحقيق في بطلان حديث الغرانيق، و حيث جمع السؤال الأمرين فلنذكر الجواب في هذا المحل تبعا للجواهر، قال رضي الله عنه: إن حديث الغرانيق باطل و زور لا يصح الإلتفات إليه، و لا التعلق به، و كل من يقول بصحته من العلماء فتلك زلة من زلاته لا يتابع عليها، ولا يحل الاقتداء به فيها، فقد قال صلى الله عليه و سلم: اتقوا زلة العالم فإنه يهلك بهلاكه خلق كثير[8].

---

[1]- سورة الأنعام، الآية 59

[2]- سورة لقمان، الآية 34

[3]- أنظر الذهب الإبريز، لأحمد بن المبارك اللمطي، لدى تفسيره لقوله تعالى: إن الله عنده علم الساعة. ص 283

[4]- منه ما رواه الحافظ البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، ليلة القدر في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى. إهـ.. صحيح البخاري (كتاب فضل ليلة القدر) باب تحري ليلة القدر في الوتر رقم 1997.

[5]- أنظر الذهب الإبريز، لأحمد بن المبارك اللمطي، لدى تفسيره لقوله تعالى: إن الله عنده علم الساعة. ص 284

[6]- هو حديث طويل ضعيف، رواه الطبراني مرسلا، أنظره في مجمع الزوائد (كتاب التفسير) 7: 172 رقم 11186 (كتاب المغازي والسير) باب الهجرة إلى الحبشة 6: 37 رقم 9850.

[7]- سورة الحج، الآية 52.

[8]- قريب من هذا الحديث ما جاء في كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي قال: قال مُعَاذ رحمه الله: احذروا زلة العالم، لأن قدره عند الخلق عظيم، فيتبعونه على زلته، وقال عمر رضي الله عنه: إذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق.

و أدلة إبطاله في الوضوح كالشمس، منها تعقل رتبته صلى الله عليه و سلم في الحضرة الإلاهية، و كمال علمه بالله تعالى، و بما عليه الحضرة الإلاهية فيما أراد إظهاره لخلقه من صفاته و أسمائه، و الثاني كمال عصمته صلى الله عليه و سلم من طوارق الشيطان، و كمال يأس اللعين من أن يوقعه في خطأ أو ضلال، أو ما لا يرضي الله تعالى، و الثالث كمال عصمة الوحي من كل خبال أو باطل، أو تخيل أو سهو، أو زيغ أو جهل ببعض أموره، لقوله تعالى: إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون[1]، و الرابع أن الله أقامه صلى الله عليه و سلم مقام نفسه، حيث قال: من يطع الرسول فقد أطاع الله، أما الأول و هو تعقل رتبته صلى الله عليه و سلم، فله فيها كمال العلم بالله، و كمال علمه بالحضرة الإلاهية، فلا يطرأ على شمسه الشريفة في الحضرة أفول و لا غيم، و لا التباس و لا تخيل، فهو في ذلك كله على مرتبة تامة.

فلا شك أن من عرف هذه الحالة فيه صلى الله عليه و سلم بالضرورة ينكر هذه القضية، ويتركها بأمر لا يجهله عالم، إلا من كان بليد الطبع، و شاهد هذا أنه صلى الله عليه و سلم هو نور أعيان جميع العوالم، فما في العالم عين من عيون الله إلا و نورها مستفاد من نوره صلى الله عليه و سلم، و هو المفيض على تلك العيون أنوارها، و إفاضته صلى الله عليه و سلم عليها من وجه يحيط بها علما، و يحيط بما يسقطه عليها من الأنوار، فهو يعلم كل عين فردا فردا، و يعلم كلما يفيضه عليها بمقدار معلوم، لا يحيف و لا يجور، و هذا في كليات العالم وجزئياته من كل ما أحاط به العلم الأزلي، فكيف يخفى عليه التباس الشيطان من الملك مع هذه الحالة.

و كيف يتأتى هذا و هو في حديث تقرير الإسلام و الإيمان و الإحسان بعد مضي الوحي بزمان كثير، قد جاءه جبريل عليه الصلاة و السلام في صورته غير المعهودة، قال الراوي: بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى أن قال: فلما قام جبريل و ذهب قال صلى الله عليه و سلم: أتدرون من السائل، قالوا: الله و رسوله أعلم، قال: هذا جبريل أتاكم ليعلمكم أمر دينكم[2]، ثم قال صلى الله عليه و سلم: ما خفى علي جبريل إلا في هذه الساعة لم يخف عليه كونه ملكا، و التبس عليه بغير جنسه من آدمي أو غيره، و خفى عليه كونه جبريل في أول لحظة عند إتيانه باستغراقه في عظم التجليات، فلما التفت إليه بسره ميزه عن جنسه، فكيف يلتبس عليه الشيطان و يظنه جبريل، فهذا في غاية البعد الثاني لكمال عصمته صلى الله عليه و سلم من الشيطان إلقاءا أو إضلالا أو تلبيسا.

و دليله من وجوه الأول قوله صلى الله عليه و سلم: لا عصمة إلا لنبيء الثاني قوله سبحانه وتعالى في خطابه اللعين: إن عبادي ليس لك عليهم سلطان[3]، و العباد الذين ذكر الله هم الصديقون و الأقطاب، و النبيئون و المرسلون، و هو صلى الله عليه و سلم بهذه المرتبة لا يوازنه أحد من خلق الله، الثالث قوله سبحانه و تعالى في حق يوسف عليه الصلاة و السلام

[1]- سورة الحجر، الآية 9
[2]- من حديث طويل رواه الإمام مسلم (كتاب الإيمان) باب بيان الإيمان والإسلام رقم 59
[3]- سورة الإسراء، الآية 25

كذلك لنصرف عنه السوء و الفحشاء أنه من عبادنا المخلصين[1]، هذا في يوسف عليه السلام، فكيف به صلى الله عليه و سلم، فأحرى أن لا يتطرق إليه الشيطان، الرابع قوله تعالى: و ادع إلى ربك إلى مستقيم[2]، الخامس قوله تعالى: و إنك لعلى خلق عظيم[3]، السادس قوله تعالى: إنا فتحنا لك فتحا مبينا إلى مستقيما[4]، السابع قوله تعالى: من يطع الرسول فقد أطاع الله[5]، الثامن قوله تعالى: و إن تطيعوه تهتدوا[6]، التاسع قوله تعالى: فالذين آمنوا به و عزروه و نصروه إلى المفلحون[7]، العاشر قوله تعالى: إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله[8].

هذه الآيات كلها شاهدة و مصرحة بكمال عصمته صلى الله عليه و سلم من طروق الشيطان إليه إلقاءا و تلبيسا و إضلالا، أو أن يقع منه صلى الله عليه و سلم ما يجب له في الحضرة الإلاهية شينا أو عيبا أو إيهاما بقليل ما مما يكرهه الله منه، فلم يبق بعد هذا إلا كمال العصمة من إلقاء الشيطان إليه أو تلبيسه عليه، و فيما ذكر كفاية.

و أما كمال عصمة الوحي فقد قال في حقه سبحانه و تعالى: و ما تنزلت به الشيطان و ما ينبغي لهم و ما يستطيعون[9] الآية، و قال سبحانه و تعالى فيها: إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب[10]. و قوله عز و جل في الآية الأخرى في حق الشياطين: لا يسمعون إلى الملإ الأعلى إلى دحورا[11]. بل إلى قوله ثاقب، كما تقدم في الآية فهذا حكم عصمة الوحي في السموات العلا لئلا يختلط الدين أو يختلط الهدى بالضلال، هذا و هو في السموات العلا لم ينفلت بخطفة واحدة، فكيف يقدر أن يقرب حضرة النبي صلى الله عليه و سلم و يخلط عليه الوحي، حتى يظن صلى الله عليه و سلم أنه كلام، فيخاف الكفر على من ازدرى برتبة النبي صلى الله عليه و سلم حتى ظن بهذا الظن الخبيث، كيف و هو سبحانه و تعالى يقول: إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون[12]، و قال سبحانه و تعالى: لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه[13]. الآية. و قوله سبحانه و تعالى: قرآنا عربيا[14]، و قوله سبحانه و تعالى: فاستمسك

[1]- سورة يوسف، الآية 24
[2]- سورة الحج، الآية 67
[3]- سورة القلم، الآية 4
[4]- سورة الفتح، الآية 1
[5]- سورة النساء، الآية 80
[6]- سورة النور، الآية 54
[7]- سورة الأعراف، الآية 157
[8]- سورة الفتح، الآية 10
[9]- سورة الشعراء، الآية 210
[10]- سورة الصافات، الآية 10
[11]- سورة الصافات، الآية 9
[12]- سورة الحجر، الآية 9
[13]- سورة فصلت، الآية 42
[14]- سورة يوسف، الآية 2

بالذي أوحي إليك[1] الآية و قوله سبحانه و تعالى: ذلك الكتاب لا ريب فيه[2]. و قوله سبحانه وتعالى: وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه[3]. الآية.

فكيف يحتمل التعريج على تلك القضية أو يظن صحتها مع ظهور هذه الآيات البينة الواضحة المعاني، و لم يكن الله سبحانه و تعالى يبتلي نبيه صلى الله عليه و سلم بمثل هذه القضية الخبيثة، و هو يقول سبحانه و تعالى: إنا فتحنا لك فتحا مبينا إلى قوله صراطا مستقيما[4]، وقوله سبحانه و تعالى: قد جاءكم من الله نور و كتاب مبين إلى قوله مستقيم[5]، و قوله سبحانه و تعالى: إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم[6] الآية. إلى غير ذلك من الآيات المصرحة بمثل هذا. و هي كثيرة في القرآن، فلا شك أنه يبين للناظر و المعتبر لها تكذيب هذه القضية في حقه صلى الله عليه و سلم.

و أبلغ الدليل في هذه القضية قوله سبحانه و تعالى: إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا[7]، و قد اشتهر عند العام و الخاص ما كان يأخذه صلى الله عليه و سلم من الثقل عند تلقي الوحي، ثم مع هذا كله يصحح العلماء أنه التبس عليه أمر الشيطان، و التبس عليه أمر كذبه، و هو عالم بما كان يأخذه عند نزول الوحي من الثقل من هيبة جلال الربوبية، ثم يكلمه الشيطان مع حقارته وذله حتى يظن أنه كلام الربوبية و يحمل الفرق بينه و بين كلام الله تعالى، فلا يقول بصحة هذه القضية إلا جاهل غبي، و أما الدليل الرابع قال سبحانه و تعالى: من يطع الرسول فقد أطاع الله فهذا دليل صريح في أن الله عز و جل طهره صلى الله عليه و سلم ظاهرا و باطنا و خلقا و تحققا، كما قال فيه: و إنك لعلى خلق عظيم[8]، فلا يقع منه صلى الله عليه و سلم ما يخالف الحق، أو يلابس الحق بالباطل من كل وجه و من كل اعتبار، فكل هذه الأدلة قطعية في تكذيب هذه القضية، و فيما ذكر منها كفاية، وَ الجواب عن الآية قال رضي الله عنه قوله تعالى: و ما أرسلنا قبلك من رسول و لا نبيء إلا إذا تمنى الآية فمن زعم أنها دليل في تصحيح قضية الغرانيق فليس بمصيب، فإن الآية ليست بدليل، لأن القضية حينئذ بتبليغ الوحي لا في القراءة التعبدية...

---

[1]- سورة الزخرف، الآية 43
[2]- سورة البقرة، الآية 2
[3]- سورة الأنعام، الآية 153
[4]- سورة الفتح، الآية 1-2
[5]- سورة المائدة، الآية 15
[6]- سورة الإسراء، الآية 9
[7]- سورة المزمل، الآية 5
[8]- سورة القلم، الآية 4